

الكشاف

نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه ^١ من أيدينا فجعله لرسول ^٢ صلى الله عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى ^٣ وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين . وقرأ ابن محيصن : يسألونك عن نفل بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام : وقرأ ابن مسعود : يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال . فإن قلت : ما معنى الجمع بين ذكر ^٤ والرسول في قوله : " قل الأنفال " ورسوله " قلت : معناه أن حكمها مختص بالرسول يأمر ^٥ بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمثل الرسول أمر ^٦ فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضا إلى رأي أحد والمراد : أن الذي اقتضته حكمة ^٧ وأمر به رسوله أن يواصي المقاتلة المشروط لهم النفل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي " فاتقوا ^٨ " في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في ^٩ " وأصلحوا ذات بينكم " وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم ^{١٠} وتفضل به عليكم . وعن عطاء : كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال : اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا : قد أكلنا وأنفقنا فقال : ليرد بعضكم على بعض . فإن قلت : ما حقيقة قوله : " ذات بينكم " قلت : أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال إلفة ومحبة واتفاق كقوله : " بذات الصدور " آل عمران : 199 ، وهي مضمراتها . لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها : ذات البين كقولهم : اسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب . وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة ^{١١} ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها . ومعنى قوله : " إن كنتم مؤمنين " إن كنتم كاملي الإيمان . واللام في قوله : " إنما المؤمنون " إشارة إليهم . أي إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله : " أولئك هم المؤمنون حقا " . " وجلت قلوبهم " فرغت . وعن أم الدرداء : الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعرير ؟ قال : بلى قالت : فادع ^{١٢} فإن الدعاء يذهب . يعني فرغت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله : " ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر ^{١٣} " الزمر : 23 ، لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه . وقيل : هو الرجل يريد أن يظلم أو يهمل بمعصية فيقال له : اتق ^{١٤} فينزع . وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد ^{١٥} : فرقت " زادتهم إيمانا " ازدادوا بها يقينا وطمأنينة في نفس . لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه

وقد حمل على زيادة العمل . وعن أبي هريرة رضي الله عنه : عن النبي A :